كلمة الدكتور بسام بركة
الأمين العام لاتحاد المترجمين العرب

عرفته رئيساً وصديقاً.. وواكبته زميل عملٍ ورفيق درب.. وتناقشنا معاً في الفكر واللغة والترجمة.. وفي هذا وذاك كان نِعْم الصديقُ.. كما كان نبراساً في العلم.. نَطاسِيًّا (العالِم الماهر) في تحليل اللغة والدفاع عن العربية والعروبة.

لقد تعرّفْتُ بشحادة الخوري منذ زمن طويل، وواكبْتُه في المؤتمرات العالمية.. وفي الندوات العلمية، في اللاذقية، وبيروتَ، ودمشقَ، وعُمانَ، وغيرِها. إلا أنني عرفته جيداً وخبِرته عن قرب منذ تأسيس "اتحاد المترجمين العرب"، في العام ٢٠٠٢ ولمدة تفوق عشر سنوات. فقد كان رئيساً للاتحاد، وكنْتُ أميناً عامّاً له.

كان شحادة الخوري أكثرَ من صديق لي، وأكثرَ من رفيقٍ في دروب العلم والعمل، لقد كان الأب الروحي لي... وللاتحاد كذلك، كان يرعى الاتحادَ، ويسهرُ على شؤونه، كما يرعى الأبُ أولاده.. وكما يسهر الأخ الأكبر على شؤونِ إخوتِه الصّغار.

لن أتحدث عن شخصه، فالوقت لا يَسَعُ ذلك، والشهادةُ من مُحبٍّ وَفِيٍّ "مجروحةٌ" كما يُقال.

سأتحدث فقط انطلاقاً من قراءة علمية موضوعية لأعماله الفكرية واللغوية العديدة التي أغنى بها مكتبتنا العربية.

المواضيعُ التي تتناولُها أعمالُه متعددةٌ ومتنوعة، إلا أنها تصبّ في مجملها في همٍّ واحد وموضوع رئيسٍ هو المعرفةُ العربيةُ، المعرفةُ بمعناها العامّ الذي يشمل في الوقت نفسِه الفكرَ والهويةَ والثقافةَ.

لقد كتب شحادة الخوري في مواضيعَ شتى، كالترجمة والتعريبِ، واللغةِ العربيةِ، والمصطلحاتِ التِّقنيةِ، والمعاجمِ اللغويةِ، والتطورِ الحضاريّ، والهويةِ الثقافيةِ، وغيرِ ذلك من المجالات.

وإذا عدنا إلى عناوينِ الكتب والمعاجم والبحوث التي ألّف فيها ووضعَها، وإذا نظرنا في الأسس الثقافية والمبدئية التي ينطلق منها، وجدنا أن المؤلف لا يكتفي بالوقوف عند عَتَبَةِ المثاقفة (أو التثاقف)، فالمثاقفةُ عندَه مرحلةٌ من مراحل بناءِ الذاتِ الجماعيةِ، وهي لا تُثمرُ إلا إذا أدّت إلى تعزيز الثقافة الأم التي تنبعُ من جذورنا التاريخية.

لقد عرفْتُ شحادة الخوري عالماً متواضعاً صامتاً، ورأيت في أعماله: الدقةَ في المعلومة، والموسوعيّةَ في المعارف، والمنهجيةَ الدقيقةَ في الدراسة، إضافةً إلى الأسلوب الجزْلِ، والخطابِ السَّلِسِ الذي يذكّرنا بالجاحظ في جزالةِ أسلوبِه، وبأبي العلاء المعرّي في متانةِ جمله، وعُمْقِ تفكيره.

إلا أنّ ما يسترعي الانتباهَ إذا ما أعدْنا النظرَ في كلِّ ما كتبَهُ ونشرَهُ خلالَ عمْرِه الطويلِ هو الشعوُر الذي ينتابُ القارئَ لنصوصِه الغزيرةِ. عادةً، يستقي المؤلف معلوماتِه من ذاكرته، ومن مطالعاته. لكنّ شحادة الخوري لم يكن يقدِّمُ عصارةَ قراءاتٍ طويلةٍ، ومطالعاتٍ واسعةٍ فحسْب، ولم يكن يكتفي بالتحاليل العميقة والبسيطة. بل كان – رحمه الله – ينهَلُ من معينِ قلبِه، وسماحةِ روحِه، وشفافيةِ بصيرته.

كما أن القارئ يستشِفُّ ما في حياته الزّاخرةِ من تأثُّر وتأثير في انتقاله من دمشقَ واللاذقيةِ، إلى تونسَ ولبنانَ، إلى غيرِها من الحواضر العربية المعروفة.

وفي كل هذا سارتْ أعمالُه، وجاءتْ كتاباتُه، تماماً مثلَ شخصيته... جاءت مرآةً لما عَرفْتُ عنه من تواضع العالِم، وصَمْتِ العارفِ، وهُدوء المُبصِر.

إلى يمين الأستاذ شحادة: الدكتور مكي الحسني أمين المجمع..

والدكتور محمود السيد نائب رئيس المجمع.. والدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع

مع زميليه عضوي المجمع

إلى يساره الدكتور عبدالله واثق شهيد رحمه الله وإلى يمينه الدكتور سعيد الصفدي

الأستاذ شحادة الخوري رحمه الله

مع زميلته الدكتورة لبانة مشوِّح عضو المجمع ووزيرة الثقافة

الأستاذ شحادة الخوري

في إحدى الملتقيات العلمية بتونس

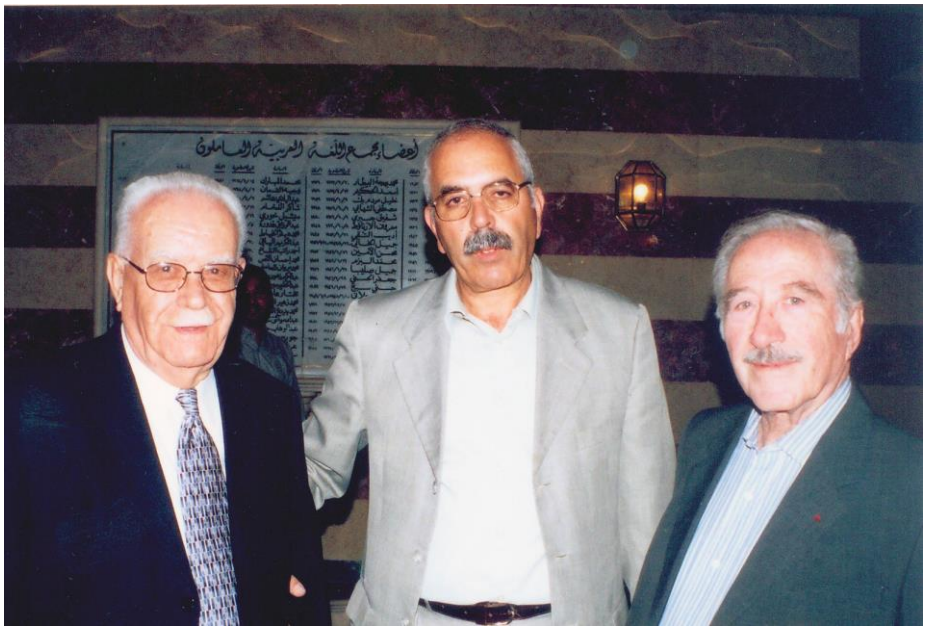

إلى يسار الأستاذ شحادة الخوري

د.عبد اللطيف عبيد رئيس دار الحكمة التونسي و د.مروان المحاسني رئيس مجمع دمشق

إلى يسار الأستاذ شحادة الخوري

د.قاسم سارة من منظمة الصحة العالمية و د.أنور الخطيب عضو مجمع دمشق

مع عقيلته السيدة نها عرموني الخوري

مع أفراد أسرته في المنزل

يظهر فيها عقيلته ونجله الدكتور وائل وكريمتيه السيدة لينة والسيدة ألمى

لكنْ، وعلى الرَّغْم من تنوُّع الموضوعاتِ، وتعدُّدِ الرُّؤى في كتبه ومقالاتِه، نصادفُ دائماً هدفاً واحداً، ومنهجيةً واحدة، هو الدفاعُ عن اللغة العربيةِ، وتأسيسُ استعمالاتِها الصحيحةِ في التعبير والمصطلح، وتعميمُ تداوُلها والتعليمِ بها. من هنا، جاءت كتاباته وسيلةً لدعمِ قيمةِ اللغةِ العربية في التواصل كما في اكتساب المعارف.

أما منهجيَّتُه.. فألخِّصها في كلمتين: هما الدقةُ والسلاسةُ وتوصيلُ الفكرةِ في جملةٍ مسبوكةٍ صحيحةٍ.. في جملةٍ تستدعي التراثَ كلَّه.. من دون أن تقعَ في التقعُّر أو الإسفاف.

شكراً لك يا شحادة من أعماق قلبنا.. كنت أباً لاتحاد المترجمين العرب.. كما كنت أخاً وفيًّا لجميع أعضائه.. شكراً لرعايتك الفكرَ العربيَّ عموماً.. والترجمةَ العربيةَ والمترجمين العربَ خصوصاً.

لروحك الطاهرة كل السلام.. صحيح أنك غبت عنا في جسدك إلا أن روحك ما تزال بيننا.. وذكراك دائمة في قلوبنا.